النمو المتسارع كانت الهجرة من الجنوب الزراعي الى الشمال ،لبناء الصناعة ، فكان ان اهملت الزراعة وبقي الريف بائسا ، شهادة من شهادات التخلف الحقيقية التي غطاها بريق نمو القطاع الصناعي السريع ، وبالنهضة الصناعية تلك وازدهار قطاع التصدير ، انتعشت ايطاليا ، ولكن لم ينتعش الحزب الشيوعي ، فقد ظل يؤيد ولكن بهدوء ملحوظ ، النضالات العمالية المطلبية ، وكان يبرر تلك البرودة بانها لاتقاء عودة الفاشيين، وقد كان ذلك التهويل بخطر عودة الفاشية من ابرز اسلحة قوى اليمين تشهرها في وجه الشيوعيين، وقد انعكست سياسة الحزب بالتحرك الهادىء حتى لا يستيقظ « وحش الفاشية من غفوته » على شعبيته ، فقد ادى خطه المهادن الى انسحاب العديد من الشيوعيين المناضلين في المراكز المؤثرة في الحزب ، او طردهم ، وبذلك خرج الشيوعيون خاسرين من انتخابات سنة ١٩٥٥ ، ولكنهم ظلوا يناضلون بالبرودة ذاتها ، حتى اوائل الستينات ، عندما وصل الازدهار الاقتصادي الى الاوج ، وعندما بدأ يظهر ضعف الحزب الديمقراطي المسيحي .

بدء سقوط اليمين

في سنة ١٩٦٣ تحالف المسيحيون الديمقراطيون مع اشتراكيي يسار الوسط ، بعدما فشلت الجماهير

كيسنجر : لا ... رغم تسويتهم التاريخية

الايطالية محاولتهم التحالف مع الفاشيين . ولكن الاشتراكيين لم يحصلوا سوى على الوزارات الثانوية ، وهذا زاد في نقمة الجناح اليساري فيه الذي رفض اساسا مبدأ التحالف مع الحزب الديمقراطي المسيحي اليميني ، وحصل بالتالي انشقاق انشأ اليساريون من بعده « الحزب الاشتراكي للوحدة البروليتارية » . ومنذ ذلك بظهور تخلف المجتمع بعد توقف دولاب الازدهار الاقتصادي . فقد بدأ الناس يشعرون وبقوة متزايدة ، بالغبن اللاحق بهم . كانت الجماهير تتساءل عن سبب تضحيتها الكبيرة من اجل تحقيق الازدهار من دون مقابل ، من دون ان ينعكس ذلك على مستواها الحياتي . في الشمال كان كبت العمال هو السياسة القائمة ، اما في الجنوب فقد كان الاهمال هو السياسة القائمة . وكانت بذلك نتيجة تضحية الطبقات الكادحة ، ازدهار الطبقة البورجوازية الكبيرة ، واتساع الهوة بين الشمال الصناعي والجنوب الزراعي البائس ، وازدياد حدة التناقضات الاجتماعية .

وهذا التطور بدأ يعمل ضد مصلحة الحزب الديمقراطي المسيحي القائم . فقد اخذت نقمة الجماهير تشتد ، وبدأت مطالبتها بالمزيد من المكاسب الديمقراطية ، بالمزيد من الحقوق ، تؤدي الى ولادة تشكيلات يسارية جديدة . ويمكن القول انه مع قدوم عام ١٩٦٨ بدت الجماهير مستعدة للقتال من اجل مصالحها . فعلى الجبهة العمالية كانت نقمة العمال في اوجها على النقابات التي اصبحت نموذجا للبيروقراطية . وعلى الجبهة الطلابية غليان شديد . وكان القاسم المشترك بين الجبهتين المتحركتين ، المطالبة بالنضال من اجل السلطة . وقد اتسعت الحركة الطلابية من بضعة جامعات الى حركة على مستوى البلاد ككل .

ولم تستطع سلطة الديمقراطيين المسيحيين انذاك والتي شلت بفعل اتساع موجة النضالات الجماهيرية ، سوى الاستجابة المألوفة من اي نظام رجعي فاسد وعاجز امام مطاليب اكثرية الشعب بالاصلاح الديمقراطي وتلبية حاجاته الملحة . فردت بعنف شديد . ولكن اساليب القمع اعطت بالطبع النتيجة المعكوسة لما تتوخاه الحكم منها . فقد هب العمال يدعمون الطلبة في نضالهم ، وبهذا التلاحم بين القوى العمالية والقوى الطلابية ، وبوصول الحركة الجماهيرية الى المصانع كاد الحزب الشيوعي والقيادات النقابية يفقدون السيطرة على العمال ، الذين تحولوا الى بناء منظماتهم البديلة داخل المصانع نتيجة خيبة امل طويلة من قياداتهم البيروقراطية ، ومن دعم الحزب غير الفعال لنضالاتهم .

ولكن الشيوعيين عندما فقدوا عمليا ، جماهير الطلاب والعمال ، ادركوا خطورة الاستمزار على نهجهم السابق ، وقرروا العمل لاعادة اكتساب هذه الجماهير المناضلة ، لكن دون التخلي عن تراجعهم الاساسي عن الثورة . فاحدثوا تغييرات في قيادات النقابات العمالية لتحسين صورتها واعادة ربطها مع قواعدها العمالية . وبينما نجح الحزب في استعادة العمال ، لم تنجح السلطة في قمع الحركة الطلابية كما فعلت فرنسا اثر ايار الساخن سنة ١٩٦٨ .

فلقد فشل الحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم في عملية التحديث المطلوبة ، وهذا ما ادى الى اتساع الهوة الاقتصادية ـ الاجتماعية ، وازدياد حدة التناقضات الطبقية . فالمجتمع غير الحدث التحديث اللازم ، لا يستطيع استيعاب الاجيال الجديدة المتخرجة من المعاهد العلمية ، تبحث عن دورها في المجتمع . وبذلك اصبحت البطالة ظاهرة ملازمة في الحياة الايطالية ، كذلك ظاهرة الـ **Under employment** : او التوظيف الادنى من كفاءة الموظف .

هذه البطالة ذات الوجهين ، زادت في حدة المشاكل الاجتماعية ، في الوقت الذي كانت تتباطأ فيه حركة دولاب الازدهار الاقتصادي . ولهذا عندما جاءت الازمة الاقتصادية الكبيرة لم يعرف الديمقراطيون المسيحيون ماذا يفعلون . فقد كان هذا الحزب الحاكم قويا عندما كان النمو الاقتصادي قويا . ولكن بداية الازمة الاقتصادية الحادة المزمنة ادت الى بداية تغير الوضع ضد الحكم ، ولصالح الحزب الشيوعي . ويمكن القول ان تاريخ السياسة الايطالية منذ فترة النهوض الاقتصادي ما بعد الحرب العالمية الثانية ، هو تاريخ صعود الحزب الديمقراطي المسيحي على اعمدة ترميم واعادة بناء ما خربته الحرب ، وافول الشيوعيين ، ومن ثم انعكاس الحال المستمر حتى الان : السقوط المضطرد للديمقراطيين المسيحيين والصعود المضطرد للشيوعيين ، كبديل لشلل الحكم القائم وعجزه حتى عن انقاذ النظام باصلاحه ، هذا الاصلاح الذي يتعهد به الشيوعيون ...

صعود الحزب الشيوعي

بدأ الحزب الحاكم يفقد شعبيته بفقدان اصوات الناخبين بصورة متزايدة . فعوضا عن المباشرة بالاصلاحات التي تتطلبها البلاد بصورة ملحة ومتزايدة غرق اكثر فاكثر في اعجز وفي الفساد المستشري ، بحيث اصبحت الفضائح ، من رشاوي وغيرها ، احداثا اسبوعيا يطالعها الرجل الايطالي العادي ، الان ، ببرودة نتيجة الالفة مع فضائح القيمين على مستقبله . وقد وصل غباء قيادات هذا الحزب لرجعي القائم ، حد انها راحت تهدد الحركة الجماهيرية بالسلاح القديم : بخطر انقلاب عسكري يميني ، فيما اذا استمرت في غليانها النضالي . وبالفعل راجت اجهزة السلطة المعنية تشجع الفاشيين الجدد الذين برزوا في بضعة تشكيلات مع ولادة الازمة الاقتصادية التي اصبحت مزمنة اليوم. فمع انتعاش واتساع قوة الحركة الجماهيرية المطالبة بالاصلاحات الجذرية ، وازدياد قوة الشيوعيين وظهور تشكيلات يسارية جديدة ، انتعشت

الفاشية الجديدة مدعومة بتسامح السلطة تجاهها ، وبتواطؤ بعض اجهزة هذه السلطة معها ، لتقف كقوة ارهابية تخريبية في وجه المد اليساري في البلاد .

ولان الديمقراطيين المسيحيين ليسوا بالحزب المتجانس ، فان الحزب يشهد باستمرار ، صراعا على السلطة وعلى المنافع في داخله ، تشغله اكثر وتستحوذ على اهتمامه اكثر مما تفعل مشكلات البلاد المستعصية ، انهم يحتكرون الحكم ولكنهم لا يحكمون . كل شيء ينهار في البلاد ، وهم منشغلون بالصراع على مصالحهم . بينما الشيوعيون يواصلون السعي بخطوات جادة وحثيثة نحو التمثيل اشعبي المتزايد : عين على صناديق الاقتراع في مواسمها ، وعين على السلطة التي يقتربون منها باضطراد ، يساعدهم نبذهم مبدأ ديكتاتورية البروليتاريا في اكتساب شرائح بورجوازية ...

ويمكن القول بان عاملين ساهما في قدرة الحزب الشيوعي على الوصول الى فئات من البورجوازية وتحصيل تأييدها السلبي ، بمعنى التأييد ولكن ليس من المنطلق الايديولوجي . الاول ان عدد العاطلين عن العمل في البلاد اصبح يزيد عن مليون عامل . وهذا الرقم يزداد بعودة الايدي العاملة الايطالية المهاجرة في اوروبا ، العائدة الى وطنها نتيجة للازمة الرأسمالية التي حلت بحدة ، على مجتمعات اوروبا الغربية ، حيث العمال الاجانب هم اولى ضحايا البطالة فيها . والاقتصاد المتدهور، وعجز الحكم القائم عن الاصلاح الاقتصادي ، لا يتركان مجالا للامل بان هذا العجز المزمن للديمقراطيين المسيحيين محتكري السلطة ، يمكن ان ينقلب اعمالا اصلاحية عجائبية . ثانيا ، ان الشيوعيين مسؤولون عن ادارة ٤ اقاليم وحدهم بالاضافة الى ادارتهم عددا اخر منها بالاشتراك مع الاشتراكيين . وان تلك الاقاليم تشكل بالفعل نموذجا للعقلية الاصلاحية ، الجادة ولحكم نظيف ، لا علاقة له بالفساد والفضائح التي تبقى حكرا للحزب الديمقراطي المسيحي ، وخاصة «الاطمئنان» الى ان الشيوعيين لا يطمحون بان يكونوا شيوعيين، بل تعهدوا بالانقاذ الاصلاحي .

ان هذه العوامل ساعدت على تغلغل الشيوعيين في اوساط فئات من البورجوازية التي ترى ان في مصلحتها الحيوية وضع حد لحكم العجز والافلاس والفضائح ، القائم ، وقد جذبتها التجربة الناجحة لحكم الشيوعيين في البضعة اقاليم التي يشرفون على ادارتها . فقد كان الحزب الديمقراطي المسيحي في الانتخابات العامة والاقليمية ، في السنين الاخيرة منذ انفجار ازمات النظام المزمنة ، كان يدفع ثمن هذا العجز وهذا الفساد الذي اصبح يتميز به حكمه . فكان يخرج من امتحانات مقارنة القوة وخسائره التمثيلية تزداد بينما ارباح الشيوعيين التمثيلية تزداد ايضا .

كان من الطبيعي على ضوء هذه التطورات ان

الاربعينات ، الى النقطة التي يقرر فيها طرح « التسوية التاريخية » الشهيرة ، ببرنامجها الاصلاحي الذي وصل حد اغراء حتى بعض انصار الحزب الديمقراطي المسيحي الشاعر بالخيبة المتزايدة ، ودعاهم الى الجهر بتأييد مشروع « التسوية التاريخية » الشيوعي .

اية تسوية تاريخية ؟

فعندما اعلن امين عام الحزب الشيوعي انريكو برلينغوير التسوية التاريخية لم يكن يستحدث امرا غريبا . فالحزب الشيوعي عندما نبذ اسلوب الثورة المسلحة للوصول الى السلطة منذ اجتماع سالينرنو، واعتماد الاساليب المتبعة في الديمقراطيات البورجوازية الغربية ، فانه كان بالتالي يحدد ان طريق الشيوعيين الايطاليين الى السلطة ، هو عبر صناديق الاقتراع ليس الا .

واعتمادهم على هذا الطريق يجعل من المستبعد او من المستغرب ان يدعو الحزب في وقت من الاوقات ، او ان يطالب بالمشاركة في الحكم مع الديمقراطيين المسيحيين الحاكمين . وقد فعل ذلك في سنة ١٩٧٤ . وما زال منذ ذلك التاريخ يعلن ويطالب ، بان الحكم القائم لا يستطيع حل مشكلات ايطاليا الاجتماعية والاقتصادية لابعادها عن شفير الهاوية ، باصراره على استبعاد الشيوعيين عن الحكم وقد اصبحوا ثاني اكبر قوة سياسية في البلاد مع فارق ضئيل جدا بينهم وبين الديمقراطيين المسيحيين ، ويتلاقى المراقبون السياسيون على ان هذا الفارق سيزول مع اول امتحان قادم للقوة على الساحة . ومن الان حتى ربيع السنة القادمة ، امام الشيوعيين الفرصة ، او المناسبة التاريخية لتحقيق مشروع تسويتهم « التاريخية » ، والمباشرة في محاولة التنفيذ الناجح لبرنامجهم الاصلاحي المرفق بمشروع « التسوية التاريخية » . وبالمقابل فان هذه المسافة الزمنية لا تشكل فرصة للحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم ، لانه كما ثبت طوال الاعوام السابقة ، اعجز من ان يقوم بمحاولة لانقاذ نفسه . ومع ذلك فان هذه المرحلة « الانتقالية » القائمة الان ، ستكون شديدة الاهمية لاسباب ليست اقلها سعي الولايات المتحدة الامبريالية ، كما قال كيسنجر ، القيام بكل ما في وسعها لمنع وصول الشيوعيين الى المشاركة في الحكم ، في ايطاليا ، وسعي الكنيسة الكاثوليكية للعب دور في مكافحة هذا التطور « الخطير » بنظرها ، وهي التي انطلقت اخيرا فيما يشبه بداية حملة صليبية ضد الشيوعيين . لقد انفقت السي اي اي، ٧٤ مليون دولار على الساسة اليمينيين منذ سنة ١٩٤٨ . وتلقي الكنيسة عددا لا يحصى من العظات على المؤمنين ... ولكنها لم تلب يوما حاجة اوسع جماهير الشعب للاصلاح الجذري الملح .

ايران:
قافلة الشهداء تكبر...

تتشدد اجهزة السلطة الايرانية في عمليات تصفية المناضلين الوطنيين الايرانيين ، وتتوالى عمليات الاعدام وعمليات التنكيل بالمعتقلين السياسيين خلف جدران السجون في البلاد . وقد انعكس ذلك في حقيقة ان حوالى ٣٠ مناضلا قد استشهدوا منذ بداية العام .

ففي خلال اقل من شهرين نفذت السلطة حكم الاعدام بحق تسعة من الثوار الايرانيين من بينهم رفيقة مناضلة ، وذلك بعد مضي فترة وجيزة على القاء القبض على مجموعة من ثوار منظمه « مجاهدي الشعب » ... كذلك استشهد المناضل معصوم خاني تحت التعذيب ، واعترفت مصادر السلطة بوفاته في السجن .

ومن ناحية اخرى ، شهدت طهران وعدة مدن ايرانية اخرى ، عددا من الاشتباكات في الفترة الاخيرة ، بين مجموعات من منظمة فدائيي الشعب وقوات السلطة استشهد خلالها عدد من الثوار وتكبدت قوات الامن عددا من القتلى والجرحى . وكانت تلك الاشتباكات قد انفجرت خلال عمليات مداهمة قوى الامن للمنازل التي تشتبه بها بقصد تفتيشها بحثا عن الثوار .

ومن ابرز تلك الاشتباكات الاخيرة اثنان . الاول عندما داهمت قوات السلطة احد مقرات الثوار فاشتبكت معهم ، واستخدمت الرشاشات والمسدسات والقنابل اليدوية . وقد فجر الثوار انفسهم بالقنابل اليدوية حتى لا يقعوا اسرى احياء في ايدي السافاك بعد ان نفذت ذخيرتهم . والثاني ، عندما اعترفت اجهزة الاعلام الايرانية بوقوع اشتباك في مدينة تبريز بين مجموعة من مقاتلي منظمة فدائيي الشعب وقوات الامن ، استمرت يومين كاملين ، وحتى استشهاد الثوار الخمسة الذين كانوا محاصرين في نقطة الاشتباك .

اما في طهران ، فقد استشهدت ثلاث رفيقات ، من منظمة فدائيي الشعب خلال اشتباكات وقعت اخيرا في العاصمة . ونفذ حكم الاعدام باثنين من المناضلين وحكم على واحد بالسجن المؤبد ، وعلى اخر بالسجن لمدة عشر سنوات ، وذلك بعد ادانتهم بتهمة جرح افراد من الشرطة خلال محاولة مصادرة اسلحتهم . وقد طالت قبضة القمع الحديدية للسلطة عددا من الكتاب والشعراء